مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(فيليبي ٤: ٤–٩)

يا إخوةُ افرحوا في الربِّ كُلَّ حينٍ وأقولُ أيضاً افرحوا* وليَظهَرْ حِلمُكم لجميع الناس. فإنَّ الربَّ قريبٌ* لا تهتمُّوا البتَّةَ بل في كلِّ شيءٍ فلتكُنْ طلِباتُكم معلومةً لدى الله بالصلاةِ والتضرُّعِ مع الشكر* ليَحفَظ سلامُ الله الذي يفوقُ كلَّ عقلٍ قلوبكم وبصائركم في يسوعَ المسيح* وبعدُ أيُّها الإخوةُ مهما يكُنْ من حقٍّ ومهما يكن من عَفافٍ ومهما يكن من عدلٍ ومهما يكُن من طهارةٍ ومهما يكُنْ من صِفةٍ مُحبَّبةٍ ومهما يكن من حُسنِ صيتٍ إن تكن فضيلةٌ وإن يكن مَدحٌ ففي هذه افتكِروا* وما تعلَّمتُموه وتسلَّمتُموه وسمِعتموه ورأيتموه فيَّ فبهذا اعملَوا. وإلهُ السلامِ يكونُ معكم.

أحد الشعانين

العدد ٢٠٠٨/١٦

الأحد ٢٠ نيسان

أحد الشعانين

تذكار أبينا البار ثاودوروس

(وهبة الله الشعري)

بعد أن أقام المسيح لعازر وأظهر سيادته على الأحياء والأموات، نشاهده اليوم هو «حياة الكل» متّجهاً إلى أورشليم وسائراً إلى الموت. جماهير الشعب تخرج لاستقباله كملك ظافر، بعد أن عرفت، في كلّ فعل وقول له، أنّه مسيح الله شافي الأسقام والمعتِق من كلّ عبوديّة وخطيئة. خرجوا بسعوف النخل، كالأطفال، لأنّ حضور السيّد هذا، يعلن وصول ملكوت السموات، أرض الودعاء، حيث لا يدخل إلاّ من رجعوا «كالأطفال» (متى ٣:١٨). مدينة الله أورشليم تستقبل سيّدها، والهيكل المقدّس يقتبل من وافى اليوم، ليتمّ على الصليب ذبيحة الفداء، ويعلن العتق لآدم وحوّاء.

لم يرسل الرب ملاكاً، هذه المرّة ليخلّص شعبه، كما فعل أيام جدعون (قض ٦:٢٢). ولا تراءى ببروق ورعود، كما ظهر لموسى على طور سيناء (خر ١٩: ١٦، ٢٠: ١٨). ملِكُ إسرائيلَ القدوس لم يدخل المدينة بجبروت ملوك الأرض وأسيادها، بل حضر «وديعاً وراكباً على حمارٍ وعلى جحش ابنِ أتان» (زكر ٩:٩، متى ٥:٢١). حضّر ليبلسم جراح المتألّمين، ويؤاسي قلوب حزانى الأرض والمقهورين فيها. وما حضور الله هذا، الخفِر، الذي خبره إيليا في النسيم اللطيف (١ مل ١٩)، وإبرهيم في زيارة الملائكة الثلاثة (تك ١٨)، وموسى في العلّيقة الملتهبة (خر ٣)، ... إلاّ صورة لمجيء المسيح الأخير بمجد ليدين الأحياء والأموات ويعلن أنّ الودعاء «يرثون الأرض» (متى ٥:٥)، حين «يملِكُ الربُّ إلى الدهر والأبد» (خر ١٥:١٨).

ويبرز في رواية الأناجيل عن دخول المسيح إلى أورشليم بُعدٌ تاريخي واقعي في سرد الأحداث. فالحقيقة تبدو مرفوضةً، حتى من الذين يقبلونها، بل يرحّبون بها في بادئ الأمر. لأنّ محاكمة الربّ في أورشليم ما هي إلاّ الصورة الأجلى لرياء الأكثرين ورفضهم للحقّ والبرّ. بالأمس رحّبوا بالمسيح حاملين

الإنجيل

(يوحنا ١٢: ١–١٨)

قبل الفصح بستة أيامٍ أتى يسوعُ إلى بيتَ عنيا حيث كان لعازرُ الذي ماتَ فأقامهُ يسوعُ من بين الأموات* فصنعوا له هناك عشاءً وكانت مرتا تخدِمُ وكان لعازرُ أحدَ المتَّكئين معه* أمَّا مريم فأخذتْ رِطلَ طيبٍ من ناردينٍ خالص كثيرِ الثمن ودهنتْ قدمَيْ يسوع ومسحتْ قدميهِ بشعرِها* فامتلأ البيتُ من رائحةِ الطيبِ* فقال أحدُ تلاميذِه يهوذا بنُ سمعان الإسخريوطيُّ الذي كان مزمِعاً أن يُسْلِمَه لِمَ لم يُبَعْ هذا الطيبُ بثلاثِ مئةِ دينارٍ ويُعطَ للمساكين* وإنَّما قال هذا لا اهتماماً منه بالمساكين بل لأنَّه كان سارقاً وكان الصندوقُ عندهُ وكان يحمِلُ ما يُلقى فيهِ* فقالَ يسوعُ دَعْها إنَّما حَفِظَتْهُ ليومِ دفني* فإنَّ المساكينَ هم عندكم في كل حينٍ وأمَّا أنا فلستُ عندَكم في كلّ حينٍ* وعلِمَ جمعٌ كثيرٌ من اليهود أنَّ يسوعَ هناك فجاءوا لا السعف والأغصان، واليوم رفعوا الصوت الواحد ليطلقوا براباس من السجن ويصلبوا يسوع الناصري. الحقّ يبدو مرذولاً مُداناً على هذه الأرض، وكأنّ الشرّ هو سيّد الموقف، وكأنّ المتآمرين هم الظافرون في أزمنة الناس.

لكنّ الإنجيل يبشّرنا بغير هذا. فالمسيح تنازل وقَبِل أن يُدان من عبدٍ، وهو الرب العديم الخطأ وحده. قَبِلَ الظلم والإهانة وموت اللعنة، ليحقّق بها غلبة الحقّ. ورغم كلّ استبدادٍ للشرّ وكلّ اعتزاز له، فإنّ سرّ المسيح المصلوب يعني، قبل أيّ شيء، غلبة النور على الظلمة، وسيادة الحقّ والعدل والبرّ، التي تُستعلن يوم يوافي الربّ ليكمّل التاريخ ويحقّق غايته، إذ يمثل أمامه كلّ ذي جسدٍ ليُدان حسب أعماله. محاكمة المسيح في أورشليم ليست سوى الصورة المصغّرة للدينونة الأخيرة حين تظهر حقيقة المسيح وتوضع كراسي القضاء «لكي تصدق في أقوالك وتغلب في محاكمتك» (٥١: ٤).

أمّا حضور المسيح الوديع في أورشليم فهو إعلان لانتصار منطق الوداعة في التاريخ. فإنّ هذا الآتي، محاطاً بالأطفال ومساكين الأرض، يحضر ليقلب عروش المقتدرين ويطأ منطق القوّة والإستبداد، كما تنبَّأ عنه الكتاب. «وتُقطَعُ قوسُ الحربِ...» (زخر ٩: ١٠). المسيح يبشّرنا أن أسياد الحروب لن يحكموا الأرض بجبروت ساعدهم، وأن كلّ المستعلين، مهما تعاظموا، يكونون «كالأشرار لكنهم كالعُصافةِ التي تُذَرِّيها الريحُ» (مز ١:٤). فإنّ «المنطق» في هذه الأرض أن يبدو البارّ ضعيفاً كسيراً لا حول له ولا قوّة ولا رجاء، في معادلات الناس وحساباتهم. يبدو كجدارٍ مصدوعٍ موشكٍ على السقوط لدى هبوب أوّل نسمةٍ. ولكنّك، إن أنعم الله عليك ودنوتَ من إنسان من هذا النوع، وكنت من المتعبين المضنكين من أثقال الحياة، تجد نفسك أمام سورٍ شاهق حصين لا تقدر عواصف الكون وزلازله أن تزعزعه. تجد نفسك أمام مصدرٍ لقوّة إلهية لا تنثني أمام أقوياء هذا الدهر، وينبوع عزاء عذب لا ينضب ماؤه حين يبدو كلّ أفق قاتماً ويظهر أن الكلّ تخلّوا عنك أو خذلوك. وحدهم الودعاء والمتواضعون يفهمون سرّ الإله المتشح بوضاعة إنسانيّتنا، ويتّخذون من التجارب والضيقات فرصةً للدنو أكثر فأكثر من النور. هؤلاء يلجون مع المسيح «الوديع والمتواضع القلب» (متى ١١: ٢٩)، إلى «المدينة المقدَّسة أورشليمَ الجديدةَ نازلةً من السماءِ من عندِ اللهِ» (رؤ ٢١: ٢)، حيث يسكن الله مع أخصّائه، «وهم يكونونَ له شعباً واللهُ نفسَه يكونُ معهم إلهاً لهم» (رؤ ٣:٢١).

المسيح الملك

«ابتهجي جدًّا يا ابنةَ صِهيون، أهتُفي يا بنتَ أورَشليمَ. هوذا ملِكُكِ يأتي إليكِ. هو عادِلٌ ومنصورٌ، وديعٌ وراكِبٌ على حمارٍ وعلى جحشٍ ابنِ أتان» (زكريا ٩:٩).

إنّ المحور الأساس الذي تدور حوله رسالة العهد الجديد هو تحقّق ملكوت الله على الأرض، على ما

من أجلِ يسوعَ فقط بل لِينظروا أيضاً لعازَرَ الذي أقامهُ من بين الأموات* فأتمرَ رؤساءُ الكهنةَ أن يقتلوا لعازرَ أيضاً* لأنَّ كثيرين من اليهود كانوا بسببهِ يذهبون فيؤمنون بيسوع* وفي الغد لمَّا سمع الجمعُ الكثيرُ الذين جاءوا إلى العيد بأنَّ يسوعَ آتٍ إلى أورشليم أخذوا سَعَفَ النخل وخرجوا للقائه وهم يصرُخون قائلين: هوشَعْنا مباركٌ الآتي باسم الربِّ ملكُ إسرائيل* وإنَّ يسوعَ وجد جحشاً فركِبه كما هو مكتوبٌ* لا تخافي يا ابنةَ صهيون. ها إنَّ ملِكَكِ يأتيكِ راكباً على جحش ابنِ أتانٍ* وهذه الأشياءُ لم يَفهَمْها تلاميذُهُ أوَّلاً ولكن لمَّا مُجّد يسوعُ حينئذٍ تذكَّروا أنَّ هذه إنَّما كُتِبتْ عنه وأنَّهم عمِلوها له* وكان الجمعُ الذين كانوا معه حين نادى لعازرَ من القبرِ وأقامهُ من بين الأموات يشهدون له* ومن أجل هذا استقبَلَهُ الجمعُ لأنَّهم سمعوا بأنَّه قد صنعَ هذه الآية.

وعدت به الأنبياء قديماً. أما موضوع الملكية المسيحانية ذو الجذور العميقة في حياة إسرائيل القديم، فليس سوى وصف لدور يسوع الناصري، الكلمة المتجسّد، مؤسساً لملكوت الله على الأرض. بيد أن ما لم يفهمه اليهود هو أن على هذا المُلك أن يتجرّد كلياً من أية أبعاد سياسية، حتى يتخذ مكانه في الرؤية الكاملة للتدبير الخلاصي.

طوال رسالته العلنية لم يقبل يسوع أن يُعلن صفته المسيانية قبل الأوان، تفادياً لتحريك ما كان لدى الجماهير من تطرّف وآمال زمنية ومشاريع سياسية. لا بل أعلن بوضوح عدم مقاومته سلطة القيصر الروماني عندما حاول «قوم من الفريسيينَ والهيرودسيينَ أن يصطادوه بكلمةٍ» (مر ١٢: ١٣–١٧)، ذلك أن ملكية يسوع قائمة على مستوى يسمو على المرامي الأرضية بلا قياس.

في إنجيل يوحنا يعترف نثنائيل ليسوع بمسيانيته ويسمّيه ملك إسرائيل. لا يُنكر السيد، ولكنه يحثّه على أن لا يكتفي بما رأى، بل أن يوجّه أنظاره نحو مجيء ابن الإنسان (يو ١: ٤٩–٥٠).

وبعد معجزة تكثير الخبزات الخمس، ابتعد يسوع عن الجموع لأنهم أرادوا اختطافه لتنصيبه ملكاً عليهم، خادماً لتطلعات دنياهم. بيد أنه وعندما أتت الساعة، بدأت صورة مُلك يسوع تأخذ أبعادها الحقيقية بدخوله الظافر إلى أورشليم، مَلِكاً فاتحاً تهتف به الجموع، وديعاً تتحقق فيه النبوءات. صورة يسوع الملك بدأت تتظهّر لأن ساعة الآلام اقتربت، ساعة اعتلان مجده الإلهي وافتتاح زمن الخلاص الحقيقي، وهو غاية مُلك يسوع. قبيل الآلام، وعلى مائدة العشاء السري، سوف يكلّم يسوع أخصاءه عن مُلكه الحقيقي، موجّهاً أنظارهم إلى الأزمنة الأخيرة (لو ٢٢:٢٩–٣٠).

تروي نصوص الآلام في الإنجيل خضوع يسوع لاستجوابين: ديني في بيت رئيس الكهنة حول كونه مسيحاً وابن الله، ومدنياً أمام بيلاطس حول سلطانه الملكي. في الإستجوابين يعلن يسوع مسيانيته وملكه على إسرائيل، ويوضح ترفّع سلطانه عن منافسة العروش الزمنية. فالجالس عن يمين قوة الله (لو ٢٢:٦٩) مملكته ليست من هذا العالم (يو ١٨: ٣٦). مشاهد الهزء والتهكّم اللاحقة تبيّن كم بقي هذا الترفع غريباً عن فهم الحاقدين.

سوف ينال يسوع مجده الملكي بقوة، بقيامته من بين الأموات وفي مجيئة الثاني في اليوم الأخير. فهو أتى ليتسلّم ملكه، وسيتسلّمه على الرغم من رفض شعبه له، ويعود مطالباً بالحساب منتقماً من مبغضيه (راجع لو ١٩:١٢–١٥ و٢٧). مُلك يسوع سيظهر ساطعاً على الصليب، ولكن فقط للعيون المستنيرة بالإيمان: لص اليمين، التائب، رأى بهاء الملك على الصليب، والتمس منه أن لا ينساه.

بقيامته من بين الأموات دخل يسوع في مُلكه الحقيقي، هذا المُلك المسياني الذي يختلف في جوهره عما كان يتوقعه اليهود من ملك أرضي زمني. فيسوع لم يملك ليرد السلطان لإسرائيل على ما

تأمل

ارتكضي وتهلّلي يا كنيسة الله بأسرها. أديري ألحاظك وانظري كيف يجتمع الآن أولادك المشتتين قبلاً في الأمم. أنظري إلى خشوع العيد. انتبهي إلى تسابيح الشعب المتوافقة. لاحظي كل لسان في تمجيد واحد وكل الأفواه كواحد. شاهدي الأمم المتوحشة صائرة خرافاً بجوارك. استمعي إلى تمجيد الأمم المتشبّهة بالملائكة غير المتجسمين. لاحظي أيضاً التناغم الذي هو جوقة الملائكة المنتظمة. أنظري إلى هذه الرتب التي تشابه مراتب الملائكة. اعتبري المزاميرَ أناشيد ملائكية، والأطفال حملاناً حديثة السن ترنّم للمسيح: أوصنا لإله السماء، مبارك هو الآتي! معهم صفّقي بالأيادي برعدة وازأري كالأسد بأقوال العيد الشكرية: هاأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الله، أنا التي كنتُ قبلاً عاقراً لا تلد ولا معنى لها. مبارك الذي أتى والآتي باسم الله. هو إلهنا وربّنا الذي ظهر لنا، الذي لا يسعه مكان ولا شيء يضبطه. مبارك الآتي دون أن يبتعد عن السماء. مبارك بما يليق هذا الذي سوف يأتي من جديد بعظمة إلهية.

القديس أبيفانيوس القبرصي

سأله التلاميذ بعد القيامة (أع ٦:١) بل ليثبت ملكوت الله بالبشارة بكلمة الخلاص «في أورشليم وكل اليهوديَّة والسامرة وإلى أقاصي الأرض» (أع ٨:١). بمعنى آخر، ليرد للإنسان كرامته الأولى. يسوع هو الملك الآتي بالعدل والخلاص، والملك الكاهن الذي يقدّس رعاياه ويطهّرهم، كما وعدت به كتب الأنبياء والمزامير. ألم يظهر مُلك يسوع بصورة عجيبة منذ بداية حياته على الأرض، طفلاً في مذود يسجد له ملوك ويخشاه آخرون، على ما ترويه أناجيل الطفولة؟

لكن مملكة يسوع التي هي ليست من هذا العالم لا يماثلها في العالم أي مُلك بشري، وإن فوّض له يسوع نفسه شيئاً من سلطانه. لذلك لا مجال للمقارنة أو التنافس بين مُلك يسوع المطلق وأي مُلك زمني نسبي ومحدود. المسيحيون هم أبناء ذاك المُلك، وإن كانوا على الأرض رعايا لممالك زمنية يطيعونها ويكرّمون سلطانها (١ بط ١٣:٢). المسيحيون يحيون على الرجاء أن «ينقلهم الله إلى ملكوت إبنه الحبيب الذي لهم فيه الفداء» (كو ١٣:١).

أما ملوك الأرض فغالباً ما يقاومون مُلك يسوع «ويتآمرون «على الربِّ وعلى مسيحه» (مز ٢:٢) عندما يمتلئون من ذواتهم، ويتركون الله ونواميسه، مستسلمين لسلطان الظلم والقهر وإساءة الأمانة. عندئذ تستهويهم مملكة الوحش الشيطانية التي تحدّث عنها سِفر الرؤيا (١٧: ١٢) فيغالون في اضطهاد الحق وأبنائه، مثل «بابل العظيمة أمُّ الزَّواني... ورأيتُ المرأةَ سكرى من دمِ القديسينَ ومن دمِ شهداءِ يسوع» (رؤ ١٧: ٥–٦).

هذه اللوحة الرمزية من سِفر الرؤيا تصف جلياً مُلك المسيح في مجيئه الثاني. الذين أوكلوا سلطانهم للشرير يجتمعون لمحاربة الخروف كلمة الله، لكنه سيغلبهم ساحقاً إياهم فهو ملك الملوك ورب الأرباب كما يسمّيه سِفر الرؤيا. كما أن مجيئه الثاني سيكون ظهوراً ساطعاً لمُلكه ومُلك الله أبيه، وبضياء ظهوره هذا سيبيد المسيحَ الدجالَ الذي يكون قد صار مكشوفاً (٢ تسا ٨:٢). ثم يسلّم المسيحُ المُلكَ لأبيه بعد أن يكون قد مَلّك الحق ووضع أعداءه تحت قدميه كما يقول سِفر المزامير (١:١١٠). وبعد انتصاره في الحرب الأخيرة، سوف يرعى كلمةُ الله أعداءه بعصا من حديد، ويقيم من بين الأموات جميع شهدائه الذين رذلوا الشرير ولم يسجدوا له، حتى يملكوا معه ومع الله أبيه. هكذا يشترك هؤلاء الشهود الأمناء في مُلك ابن الإنسان الأبدي (دانيال ٢٢:٧ و٢٧)، تحقيقاً لوعد يسوع نفسه للإثني عشر على مائدة العشاء الأخير: «وأنا أجعلُ لكم كما جعلَ لي أبي ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلِسوا على كراسيَّ تدينونَ أسباطَ إسرائيلَ الإثني عشرَ» (لو ٢٢: ٢٩–٣٠).

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb